

## سياسات التأويل وتدبير الصراع التأويли: بحث في سيناريوهات الدفاع عن الحق في التأويل

*Interpretation Policies and Interpretation Conflict Management:  
Research into Scenarios to Defend the Right to Interpret*

د. عبد اللطيف الدادسي: دكتور في اللغة العربية وآدابها، جامعة مولاي إسماعيل، المغرب

**Dr. Abdelatif Dadsi:** Doctor of Arabic language and literature, Moulay Ismail University, Morocco

Email: dadsiabdeltif@gmail.com

DOI: <https://doi.org/10.56989/benkj.v4i6.923>

## المؤلف:

تبحث هذه الدراسة في طبيعة الصراع في تأويل النصوص داخل المجتمع، ذلك الصراع الناتج عن تعدد معانٍ النص، واختلاف منظورات التأويل ومصالح من يؤيّل. إننا ندرك أن هناك حاجة إلى البحث في سياسات التأويل وآفاق تدبير الصراع التأويلي، وذلك إيماناً بأن المجتمع ينادى دوماً للتعدد التأويلي المفрط حتى يحفظ مصالحه. ولعل هذا البحث سيكون نقاشاً حول كيفية الدفاع عن الحق في التأويل، والذي سيكون حقاً ذات طبيعة اجتماعية. وتؤطر هذه الدراسة ذاتها وفق المقاربة الهيرميونطيقية التي تكرر في القواعد التي تقضي بالمؤول إلى فهم النصوص بشكل جيد، لكن التفكير الهيرميونطيفي يجد أن التأويل يقع في مأزق نزوع الذات المؤولة إلى اختيار القواعد التأويلية التي تجلب المصالح الخاصة، وهو ما يوقع أطراف التأويل في صراع دائم. وهذا ما تعرفه النصوص المختلفة في معناها مثل النصوص الدينية والسياسية والتاريخية والذاكراتية خاصة تلك المتعلقة بالجرائم والمظالم، وهكذا يصير لهذه النصوص معانٍ مختلفة وصراعات لا حد لها.

وتضبط هذه الدراسة إلى منهجية تحليل المضمون على نحو استباطي. وذلك انطلاقاً من الأهداف التالية: البحث في أهمية الافتراضات المسبقة التي تدعم التأويل وكيفية نشوئها وتتجدد، مع رصد أهمية الصراع التأويلي بالنسبة للنص، ثم استخلاص الأخلاق التأويلية التي تدبر الصراع التأويلي وتحفظ الحق في التأويل. وننتهي أخيراً إلى البحث في أهمية الدرجة الصفر للصراع التأويلي بالنسبة لأطراف التأويل حيث تكون هذه الأطراف خاسرة، ما يدعوه هذه الأطراف إلى تبني نموذج تأويلي مشترك ويتم تحصيل مصالح تأويلية موحدة.

**الكلمات المفتاحية:** تدبير الصراع التأويلي، سياسات التأويل، الافتراضات المسبقة، النموذج التأويلي، أخلاق التأويل.

### Abstract:

This study examines the nature of the conflict in the interpretation of texts within society, which results from the multiplicity of meanings of the text, different perspectives of interpretation and the interests of those who constrain. We recognize that there is a need to examine the politics of interpretation and the prospects for the measure of interpretation of conflict, in the belief that society is always opposed to excessive

interpretation in order to safeguard its interests. Perhaps this research will be a debate on how to defend the right to interpretation, which will indeed be of a social nature. This same study is framed by the Hermeinocultural approach, which contemplates rules that lead the administrator to understand the texts well, but Hermeenocci thinking finds that interpretation falls into the dilemma of the self-determination to choose the interpretative rules that bring about special interests, thereby placing the parties to interpretation in a constant conflict. This is known in different texts such as religious, political, historical and subjective texts, especially those relating to crimes and injustices, and thus these texts have different meanings and unlimited conflicts.

This study is adjusted to the methodology for devaluing content. This is based on the following objectives: to examine the importance of prejudices that support interpretation and how they arise and regenerate, while monitoring the importance of interpretative conflict to the text, and then to draw interpretative ethics that manage interpretative conflict and preserve the right to interpretation. Finally, we conclude by examining the importance of the zero degree of interpretative conflict for the parties to the interpretation where they are losing, which calls on those parties to adopt a common interpretation model and to collect common interpretive interests.

**Keywords:** Interpretive conflict management, interpretation policies, presuppositions, interpretation model, interpretation ethics.

#### المقدمة:

لقد ظل التأويل عبر مر التاريخ مجالاً للاختلاف في المعنى الذي يستخرج من النصوص، ولعل هذا يرجع إلى اختلاف الأفهام والطرق المؤدية (النماذج التأويلية) إلى استخلاص المعنى، لكن أخطر شيء في مسألة الاختلاف في المعنى هو أن يولد معنى معيناً خاصاً بنص ما ويكون هذا المعنى نتيجة وعي زائف لا يقوم على قواعد تجعل التأويل جيداً وأقرب إلى الصواب. لذلك ظهر علم الهرميونطيقاً الذي يعني بقواعد التفسير. (...) وقد تجلى أول مكسب للهيرميونطيقاً

الحديثة في إنشاء قاعدة للانطلاق من الكل إلى الجزء، ومن ثم إلى التفاصيل.<sup>1</sup> وهذا التعريف يذكرنا بأحد علوم الدين الإسلامي، يتعلق الأمر بعلم أصول التفسير الذي هو "المجموع الناظم للمبادئ والقواعد والأسس التي تحكم عملية الفهم والاستبطان من النص الشرعي وتنظمها".<sup>2</sup> ولعل ما يجعل الوعي بعيداً عن الزيف قريباً من الحقيقة هو انتباطه للنص اعتماداً على العلاقات النصية حيث يجد كل عنصر نصي ذاته مرتبطة بجميع العناصر، وبالتالي لا ينشأ المعنى بدون ربط كلية النص بجزئياته. إن الذي يجعل التأويل تأويلاً هو ارتباطه بوظيفته، لذلك فهو موجود لـيستخدم الهيرمينوطيقاً بوصفها سلاحاً للشك ضد "خدع" الوعي الزائف.<sup>3</sup>

كثيرة هي الضوابط التي أطرت تأويل النص عند بول ريكور، ولعل أول ضابط هو التفكير في نية وقصد المؤلف، وهذا ما يجعل التأويل لا يقتصر على ما يقدمه النص، بل يتتجاوز ذلك إلى ربط النص بزمن كتابته. وهنا نستحضر تساؤل بول ريكور: كيف يتاح للمرء أن يستعمل التعبيرات الحياتية التي ثبّتها الكتابة لكي ينقل ذاته إلى حياة نفسية غريبة عنه؟<sup>4</sup> ثم ضابط ثان، وهو أن التأويل يقوم على البحث عن دوافع الكتابة، وهذه دعامة لفهم ما يريد قوله المؤلف في النص. وضابط ثالث، يتعلق الأمر بالظروف التي تجعل النص يحمل أكثر من المعنى الذي قصده المؤلف حقاً. أما الضابط الرابع فهو أن تعدد الطرق المؤدية إلى إنتاج المعنى يعني أن هناك اختلافاً في التأويلات. والضابط الخامس فيتمثل في أن التعدد التأويلي يعني مرة وجود شقاق تأويلي بين التأويلات، كما يعني أخرى التوافق التأويلي، ويعني أيضاً وجود تأويل يسعى إلى إبطال التأويلات الأخرى، وأخيراً يعني وجود إمكانية للتوفيق بين التأويلات، وهو توفيق لا ينتصر لأحد وإنما لمجموع الأطراف المشاركة في تأويل النص. يقول بول ريكور في هذا الصدد: "ما الذي يقصده المرء حين يتكلم؟ متى يكتب المرء؟ متى يعني المرء شيئاً أكثر مما يقول فعلاً؟ وهل نحن نسأل الآن ما الذي يعنيه لهم خطاب بينما يكون الخطاب نصاً أو عملاً أدبياً؟ وكيف نصفي المعنى على الخطاب المكتوب؟"<sup>5</sup> وإذا صح القول بوجود أكثر من طريقة لتفسير النص، فلا يصح

<sup>1</sup> ريكور، بول (2002): صراع التأويلات دراسة هيرمينوطيقيّة. ترجمة: عياشي؛ منذر، ط2، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة. ص 99.

<sup>2</sup> اليوسفي، محمد؛ شهاب، مثنى حميد (2023): قراءة نقدية في مناهج التأويل الحداثي للقرآن الكريم. مجلة ابن خلدون للدراسات والابحاث، المجلد 3، العدد 2. ص 16.

<sup>3</sup> ريكور، بول: صراع التأويلات دراسة هيرمينوطيقيّة. مرجع متكرر. ص 100.

<sup>4</sup> ريكور، بول (2006): نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: الغانمي، سعيد، ط2، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي. ص 80.

<sup>5</sup> المرجع السابق. ص 117.

القول بأن التأويلات متساوية. (... ) يمكن دائماً الوقوف مع أو ضد تأويل معين، والمواجهة بين التأويلات، والفصل بينهما، والبحث عن اتفاق حتى لو كان الاتفاق بعيداً عن متناول أيدينا.<sup>1</sup>

### مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

إن الطبيعة التي يقوم عليها المعنى من خلال كونه متعدداً إثر اختلاف المنظورات والمصالح، واعتبار التأويل حقاً يكفله العقل الوعي والثقافة، كل هذا دفعنا إلى اعتبار مشكلة هذه الدراسة متمثلة في البحث عن إمكانية تبخير الصراع التأويقي وحفظ الحق في التأويل. إننا أمام مشكلة لا يمكن معها أبداً التحرر من التعدد التأويقي، لكن يمكن وفقاً لمقاربة هيرمينوطيقية وثقافية وأخلاقية وسياسية أن نضع مقترنات لجعل التأويل يحيا بالصراع التأويقي ويكون حذراً منه. لذا يجب أن يكون التأويل هيرمينوطيقياً يرتكز على ربط كلية النص بجزئياته بإيماناً بأن هذا هو الملاك الآمن لحياة المعنى، ثم النظر إلى الصراع التأويقي من وجهه الإيجابي وصرف النظر عن عيوبه وشروطه، ولعل الاعتراف بالآخر والإيمان بأهميته بالنسبة للذات هو أفق لتذويب الاختلافات التأويقية، بل وتقريب الرؤى المختلفة. إن من سلبيات الصراع التأويقي هو وقوفه أحياناً عند الدرجة الصفر حيث لن يكون لطرف من أطراف التأويل ربح وفائدة حينما يختلف ويفرد برأيه دون افتتاح أو حوار، ما يجعل التعاون والبحث عن أوجه التوافق والترابط والوحدة بين الأطراف أمراً ضرورياً وحاجة اجتماعية وثقافية تجعل أطراف التأويل قد حفقت منافع معينة أفضل من أن تكون خاسرة. ولعل التعاون وال الحوار بين أطراف التأويل يُعني التأويل لكون كل طرف تأويقي يملك افتراضات مسبقة تختلف عن افتراضات الطرف الآخر، وكلما كثرت الافتراضات اتسع أفق التأويل وأصبح امتلاك معنى النص ممكناً ومتتحققاً بعد أن كان مستحيلاً. لكن مرحلة التلاقي بين أطراف التأويل تجعل تلك الافتراضات محط اختبار وتجربة، مما يجعلها معرضة للصمود أو الزوال أو التجدد والتكيف.

تتعدد الأسئلة الفرعية التي تثار انطلاقاً من مقاربة مشكلة الدراسة، ولعل أولها هو ما مفهوم التأويل في حقل الهيرمينوطيقاً؟ وإذا كان التأويل الهيرمينوطيقي يعتمد على ربط كلية النص بجزئياته فهل هذا يعني تغييب موسوعة القارئ أم أن الأمر مجرد استراتيجية نصية توجه استخدام موسوعة القارئ؟ إذا كنا نؤمن بالحق في التأويل فهل هذا يجعل الصراع التأويقي أمراً لا مفر منه؟ وإذا كنا ننظر إلى الصراع التأويقي نظرة تأفف واستنكار فكيف يمكن الانتصار عليه وتبيده؟ وما الأهمية التي تعود بها الافتراضات المسبقة في تبخير الصراع التأويقي وتحويله إلى تعاون تأويقي يجعل التأويل نافعاً لكل الأطراف المختلفة في التأويل؟

<sup>1</sup> المرجع السابق. ص128.

## منهج الدراسة:

اعتمدنا في مقاربة هذه الدراسة منهجية تحليل المضمون التي تتكامل مع المنهجية الاستباطية التي تنتقل من العام إلى الخاص، لكن جعلنا المقاربة تتضيّط لحقول معرفية تجمع بين دفتيرها حقل الهيرميتوطيقاً وحقول السياسة وحقول الأخلاق وحقول الثقافة والمجتمع، ولعل العلة في هذا الانضباط متعدد المرجعيات تكمن في كون الصراع التأويلي يفرض أكثر من مقاربة لافتتاحه الفكري على حقول متعددة.

## أهداف الدراسة:

- ❖ تحديد مفهوم التأويل في الحقل الهيرميتوطيقي.
- ❖ رصد تجليات اشتغال الدائرة الهيرميتوطيقية في تأويل النص.
- ❖ إبراز أهمية الصراع التأويلي بالنسبة للنص.
- ❖ كشف أهمية الأخلاق في الصراع التأويلي.
- ❖ بيان القيمة الفكرية للدرجة الصفر للصراع تأويلي.
- ❖ مناقشة أهمية الافتراضات المسبقة وتجليات نشوئها وتتجددتها أثناء عملية التأويل.

هكذا حاولنا أن نستهل الحديث عن وجود حاجة ملحة إلى سياسات التأويل، تلك السياسة التي تنتصر ضد السياسات الذاتية من أجل سياسات ثقافية اجتماعية تحفظ لكل أطراف التأويل حقهم التأويلي.

### 1. مفهوم التأويل في الحقل الهيرميتوطيقي:

حينما أوجد الإنسان التأويل كان مدفوعاً بحاجته إلى امتلاك معنى للنصوص التي توجد في مجتمعه ويضطر إلى تأويلها سعياً منه إلى تحقيق غايات أو تلبية حاجات معينة. فالقول بأن التأويل امتلاك للمعنى هو كلام عبلي، إذ لا يتضح منه مفهوم التأويل، فما طبيعة المعنى الذي يمتلكه التأويل؟ وما طبيعة هذا التأويل؟ وكيف يمكن امتلاك المعنى؟ قد يجوز القول إن التأويل حيارة للأفكار المثبتة في النصوص وفي المقابل لا يجوز القول إن حيارة تلك الأفكار هي تأويل للنصوص. هنا يظهر أن تحديد مفهوم التأويل يتطلب تحديد كيف يشتغل؟ نجد بول ريكور يكشف طبيعة المعنى الذي يمتلكه التأويل وهو المعنى الخفي غير المصرح به، فخفاء المعنى يرجع إلى تداخل كل المعاني وتكافتها تحت غطاء المعنى الحرفي، هذا الذي يشتغل بصفته إحالة على المعنى المتعدد نتيجة خفائه وتسره. يقول بول ريكور: "إن التأويل هو عمل الفكر الذي يتكون من

فأك المعنى المختبئ في المعنى الظاهر، ويقوم على نشر مستويات المعنى المنضوية في المعنى الحرفي. (...) إذ ثمة تأويل، هنا حيث يوجد معنى متعدد.<sup>1</sup> إن ريكور يربط ضرورة التأويل بالحاجة إلى استبدال المعنى بمعنى آخر، فكلما رفضنا معنى ورغبنا في آخر وجدنا أنفسنا في حاجة إلى التأويل.

إن الاعتبار الذي يجعل التأويل إنتاجاً لمعرفة غير واضحة في البداية وغير متوقعة يثير إشكالاً حول صحة المعنى الذي ينتجه التأويل، خاصة وأن التأويل يكشف المعنى في تعدداته، لكن هل تعددية المعنى تنتهي عملية التواصل بين المؤلف والنص؟ إن المعنى لا يحدده التأويل ولكن التأويل يحدد المسارات والروابط التي يمكن أن تصل النصوص بمعناها، وبالتالي يبقى تحديد المعنى رهيناً بالمسار المؤدي إليه.

تُجْبِي الإشارة إلى أن مشكلة تحديد مسارات التأويل هي مشكلة هرمينوطيقية بالأساس، لأن اختيار مسار تأويلي دون غيره ينضبط إلى قواعد فهم محددة، وهو ما نتحدث عنه باسم النموذج التأويلي، لهذا يمكن التساؤل هل يكون متاحاً للتأويل أن يبدأ بدون نموذج تأويلي أم أنه لا وجود للتأويل خارج النموذج التأويلي؟ فكرة أسبقيّة النموذج التأويلي على التأويل هي فكرة ذات بعد ثقافي حيث ينفتح المؤول على تراثه وثقافته وخبرته الشخصية سعياً منه إلى التزود بغية جعل تأويله خاضعاً لقواعد فهم أولية. إن ما يؤكّد الفكرة الأخيرة موضوع التحليل هو أن المؤول لا يقوم بالتأويل ولا يفكر فيه حتى يكون متوفراً على الخبرة التأويلية. وهذا مذهب بول آرمسترونغ وجورج هانس غادامير، يقول الأول: "إن نظرية التأويل ليست آلة تنتج قراءات، يجب على ممارسي أية طريقة البدء من جديد ومحاولة فحص تخمينات جديدة في كل مرة يتناولون فيها عملاً ما. والخبرة تفتقر بالتجربة لأن ممارسة أفعال التأويل السابقة توفر مرجعاً في التخمين. لكن النصوص المختلفة تحتاج إلى فرضيات مختلفة".<sup>2</sup> أما الثاني غادامير، فيرى أن النموذج التأويلي يسبق أي نشاط فكري، كما أنه يتجدد باستمرار مع دوام التأويل، وبالتالي يكون التأويل سبباً في انتعاش النموذج التأويلي، يقول غادامير: "فالذي يريد أن يفهم يشكل نوعاً من التصور، ينجزه قبل أن يسقطه على الأشياء. فهو يتصور باستحضار مسبق لمعنى شامل بمجرد ما يظهر المعنى الأصلي (الأول) للنص. لكن هذا الأخير لا يظهر بدوره إلا إذا قرأنا النص بنوع من جوانية الانتظار بخصوص دلالته الدقيقة. إن

<sup>1</sup> ريكور، مرجع سابق، ص44.

<sup>2</sup> آرمسترونغ، بول: القراءات المتصارعة (2009): التنوع والمصداقية في التأويل، ترجمة: رحيم، فلاح، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة. ص23.

فهم ما هو موجود هنا يتم عبر إعداد هذا التصور القبلي والمبني الذي ينبغي أن يخضع للمراجعة المستمرة كلما تقدمنا في اختراق المعنى".<sup>1</sup>

إننا لا نأتي إلى النصوص فارغين، بل نضع أمامنا قبل كل شيء نموذجاً للتأنيل، والذي يتفاعل مع النص، فغادامير يربط إعداد النموذج التأويلى قبل تأويل النص بمسألة أفق الانتظار كما يتصورها رواد نظرية التقى الألمانية، بمعنى أن النموذج التأويلى يكون مجرد نموذج مفترض ومتوقع ريثما يتم تغييره ومراجعته وفقاً لمقتضيات النص التأويلىية أو يبقى هو نفسه إذا كان توقع وافتراض المؤول في محله. يضيف غادامير قائلاً: "ينبغي للتأنيل أن يسير وفق مفاهيم وتصورات مسبقة والتي تعوض تدريجياً بتصورات متناسبة ومتلائمة. فلا يتعلق الأمر سوى بسياق التصور المتجدد باستمرار والذي يؤسس رغبة البحث عن المعنى، الفهم والتأنيل الذي وصفه هيدغر".<sup>2</sup>

## 2. نقد النموذج التأويلى:

إن مسألة تعويض نموذج آخر هي مسألة تتعلق بنقد ومساءلة جدواً النموذج التأويلى، لذلك فالتأييل في حقيقته يجب أن يُفهم على أن غايته ليست محصورة في امتلاك المعنى المخفى فقط، بل في امتلاك قواعد فعالة وحيوية تتواافق مع طبيعة النص موضوع التأنيل، وذلك بإيماناً بأن النص يستدعي منهجه وليس العكس. وهكذا يظهر أن تأويل النص يكون تأويلاً للذات كذلك من خلال نقد النموذج التأويلى الموظف، فهذا النقد يستمد قوته ودعمه من النص موضوع التأنيل ومن النماذج التأويلىة المنافسة، ونتيجة لهذا النقد متعدد المصادر يكون متاحاً للمؤول أن يعرف مسار التأييل وأفاقه الإنتاجية، يقول غادامير: "كل مراجعة لتَدْهُنِ المعنى واستحضاره المسبق يمكنها أن تتصور استحضاراً جديداً لمعنى جديد. قد تهيئ عدة تصورات متنافسة إلى أن تؤسس وحدة المعنى بصورة واضحة. كما ينبغي للتأنيل أن يسير وفق مفاهيم وتصورات مسبقة والتي تعوض تدريجياً بتصورات متناسبة ومتلائمة".<sup>3</sup>

إن سعي المؤول إلى تغيير نموذجه التأويلى أو مراجعته يؤكد إيمانه بأهمية قيمة الديمقراطية واستعداده للتنازل عن الحقوق التي يضمنها نموذجه التأويلى، إن السلطة تكون فعالة حسب معتقدات المؤول وقيمه، فلنتخيل أن سلطة تومن بمصلحة الذات لا بمصلحة الآخر، فهل يمكن لهذه السلطة أن تستمر وتبقى الحاجة إليها دائمة؟ إن الجواب هو النفي، لأنه لا أحد يمكن أن

<sup>1</sup> غادامير، جورج هانس (2006): فلسفة التأييل - الأصول المبادئ الأهداف، ترجمة: شوقي الزين، محمد، ط، 2، المركز الثقافي العربي، ص123.

<sup>2</sup> المرجع السابق. ص123.

<sup>3</sup> المرجع السابق. ص123.

يتكون بأحوال المؤول، لأنه، من جهة، إنسان قابل للتغير والتأثر، ثم من جهة أخرى أن الأطراف المنافسة في التأويل لا يمكن بثبات التكهن بقوتها التأويلية التي قد تتعش سلطتها، ما يجعل السلطة في صراع وتنافس حول المركز الذي يُبْقى الذات وينفي الآخر. يقول بول آرمسترونغ: "تتأسس الأحوال الديمقراطية على افتراض واضح مفاده أن امتلاك أية سلطة للفوّة لن يكون إلا مؤقتاً، وهذه ميزة ابستيمولوجية مهمة ما دامت السلطة الحصينة تؤدي إلى تآكل فعالية التأويل. إن مما يزيد من أهمية الصراعات التأويلية أنها تذكر السلطة بأن تفويضها أمر مؤقت لا أكثر، كما أنها توفر إراحتها إذا ما فقدت فعاليتها".<sup>1</sup>

### 3. الدائرة الهيرميونطيقية وامتلاك المعنى:

يتتفق كل من جورج هانس غادامير وبول آرمسترونغ ومعهما أمبرطو إيكو على أن المعنى يُبني داخل النص من خلال تأويل كل جزء على حدٍ، حتى يكتمل النص، ثم إن كل جزء يتحدد بالأجزاء الأخرى من النص وكأن جميع الأجزاء تتنظم في شبكة مترابطة الأجزاء. وهذا لا يعني أننا أمام مقاربة بنوية للنص، وإنما يعني أن هناك ضرورة لإشراك النص في التأويل. لذلك يرى غادامير أن "القاعدة التأويلية التي تعتبر أن الكل ينبغي أن يفهم انطلاقاً من الجزء والجزء انطلاقاً من الكل هي وليدة الخطابة القديمة. فقد عمل فن التأويل في العصور الحديثة على نقلها من فن الخطابة إلى فن الفهم. (...) انسجام جميع الخصائص والأجزاء مع الكل يؤسس معيار الدقة في الفهم. انعدام هذا الانسجام يعني إخفاق الفهم".<sup>2</sup> يظهر أن للهيرميونطيقاً منابع قديمة لنظريتها، وهو ما يؤكد تجذر التأويل المنظم في تاريخ الإنسان. كما أن تقييم نجاعة التأويل له أساس متمثل في ضرورة ارتباط معاني أجزاء النص بمعنى النص في كليته والعكس صحيح. أما آرمسترونغ فيجد أن أولى المقدّمات لنظرية التأويل (الهيرميونطيقاً) تذهب إلى أنها ذات طبيعة دائيرية أساساً. إذ تؤمن بالصيغة الكلاسيكية للدائرة الهيرميونطيقية أننا لا نستطيع أن نفهم التفاصيل دون أن نضع خطوطاً عامة لفهم الكل، تماماً كما أننا لا نستطيع أن نحقق رؤية الكل إلا بالعمل من خلال أجزائه<sup>3</sup>. إن أي جزء من النص قد جاء به (تم دمجه) إلى النص لحظة الكتابة، وتم قبوله فأصبح ينتمي إليه مع قطع العلاقة مع خارج النص (النصوص التي ارتبط بها سابقاً) وإن بقيت ملامح التناص بادية عليه، فهو بهذا يصير ممتلكاً لهوية نصية جديدة، وهي التي تجعله قادراً على الدلالة وإنشاء المعنى في ذهن القارئ. إن امتلاك معنى أي جزء من النص يقتضي ربط الجزء بالكل، والعكس صحيح، فأمبرطو إيكو يرى أن "كل تأويل يعطى لجزئية نصية ما يجب أن يُثبتته جزء آخر

<sup>1</sup> آرمسترونغ، مرجع سابق، ص 201 – 202.

<sup>2</sup> غادامير، مرجع سابق، ص 119.

<sup>3</sup> آرمسترونغ، مرجع سابق، ص 21.

من النص نفسه، وإلا فإن هذا التأويل لا قيمة له<sup>1</sup>. إن المعنى بقدر ما يرتبط بخارج النص بقدر ما يكون في حاجة إلى هويته النصية التي تمنعه من أن يقول أشياء وترجّحُ له أن يقول أخرى، فالنص، حسب إيكو، ليس مجرد أدلة تستعمل للتصديق على تأويل ما، بل هو موضوع يقوم التأويل بنائه ضمن حركة دائرة تقود إلى التصديق على هذا التأويل من خلال ما تتم صياغته باعتباره نتيجة لهذه الحركة. ولا أشعر بخجل في القول بأن ما أحدده هنا يعود إلى الدائرة القديمة والصالحة دائماً: "الدائرة الهرميونطيقية".<sup>2</sup>

إن مقترن الرؤية الكلية لمجموع الأجزاء المكونة للنص قصد امتلاك معنى النص أو معنى جزء منه يكشف لنا أن النص هو تعبير عن عملية انتقاء لأجزاء من الواقع الخارجي بغية أداء وظيفة دلالية داخل نص معين يراد إنشاؤه، ومن ثم لا يوجد انتقاء عشوائي بقدر ما يوجد انتقاء يكشف عن أن كل العناصر المنقاة تتصل ببعضها البعض دلاليًا، فلو كان هناك انفصال دلالي ما، لما تم انتقاء أي جزء ليصير ضمن محتوى النص، ما يجعل المشترك الدلالي (العلاقات الدلالية) شرطاً لانتقاء ما سيتكون منه النص لاحقاً أثناء نشوئه. لذلك فإن تأويل النص يتطلب منهم كل جزء في علاقته بالأجزاء الأخرى داخل النص، وبتعبير فولفغانغ إيزر: "إن الفعل التخييلي للتركيب، كما هو الشأن بالنسبة للفعل التخييلي لانتقاء، ينتج علاقات داخل النص تنتاج هي بدورها قصيدة النص. (...) فحقيقة النص هذه تصنّعها العملية العلائقية من خلال تحديد العناصر التي تُركبُها، وكذا من خلال التفاعل المتبادل بين تلك العناصر خلال التركيب، وبالتالي ليست حقيقة النص هي نفسها صفة العناصر التي يقوم النص بتراكيبها، بل هي مكونة من ذلك شيء الذي يتجه النص".<sup>3</sup>

هكذا إذن نتباهى إلى أن تأويل النص ليس عملية عشوائية، بل إنها مسألة تتطلب النظام والانضباط العملي بصرف النظر عن أن المعنى نسبي وليس هو المعنى الحقيقي مع أنه ليس هناك معنى حقيقي للنص، وإنما بحث مما يمكن أن يتجاوز معه النص في علاقته التفاعلية مع ذات القارئ. لذلك نتأكد أن الهرميونطيقاً تقبل أي معنى أُثيرَ، لكن مع شرط أن يخضع لنموذج

<sup>1</sup> إيكو، أمبراطو (2004): التأويل بين السيميائيات والتوكسيكيّة، ترجمة: بنكراد، سعيد، ط2، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص79.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص78.

<sup>3</sup> إيزر، فولفغانغ (1998): التخييلي والخيالي من منظور الأنطروبولوجيا الأدبية، ترجمة: لحميداني، حميد؛ الكدية، الجلاي، ط1، فاس: مطبعة النجاح الجديدة، ص14-15.

تأويلي له قواعده الخاصة في امتلاك المعنى، وهذا ما يجعل الهيرميونطيقا "نظيرية في التأويل: تكوين الإجراءات والمبادئ المستخدمة في الوصول إلى معاني النصوص المكتوبة".<sup>1</sup>

#### 4. أهمية الصراع التأويلي بالنسبة للنص:

لا يمكن الجسم في أن للنص معنى واحداً، حتى وإن أقرنا ذلك ولم نُسْعَ إلى التأكيد أو إعادة النظر في المسألة نظرياً وتطبيقياً فإن ذلك لا أساس له من الصحة، إن النص، وهو يعرض نفسه للقارئ، يدفعنا إلى التيقن من أن القراء متعددون في اللحظة الزمنية الواحدة والنص واحد، والنتيجة أن النص يقول ما يتخيله القارئ وينتجه في ذهنه بعد التفاعل معه، والشيء نفسه يُفعل مع القراء الآخرين لنكون أمام تنوع في المعنى للنص الواحد. إن نشوء كل معنى جديد هو تعبير عن تنافسية في التأويل، فلولا أن كل قارئ يؤمن بصحة المعنى الذي أُنْتَج سلفاً لأوقفنا سيرورة التأويل وصراعه، ولَكَتبنا شهادة الوفاة للنص موضوع التأويل. إذن فحياة النص رهينة بدوام تجدد تأويله عبر التاريخ ما يعطي للنص وللتأويل تاريخهما، وهو ما يجعلنا نتحدث عن تاريخ الأفكار. إن "مجد القارئ" يكون باكتشاف أن بإمكان النصوص أن تقول كل شيء، عدا ما يريد مؤلفوها أن تعنيه؛ وب مجرد أن يُدعى اكتشاف المعنى المزعوم تكون على يقين من أنه ليس المعنى الحقيقي؛ حيث يكون ذلك الأخير هو الأبعد، وهكذا، والمنتمنون للهيوولي **Hylics** – الخاسرون – هم الذين ينهون عملية القراءة بقولهم "أفهم" **I understand**.<sup>2</sup>

إن القارئ يكون خاسراً لكونه كسولاً، لا يرغب في المزيد من التأويل، فمع كل زيادة في التأويل هناك زيادة في اكتشاف عالم جديدة تبني حول النص. لكن هناك طرفاً خاسراً آخر هو النص، فالنص يربح مع القراء المجتهدين والطموحين المعاني الكثيرة التي لا عهد لهم بها. إن خسارة النص تمثل في فقدانه القدرة على أداء وظائفه التي وُجِّدَ من أجلها. فوظيفة النص رهينة بالمعنى الذي وُضِّع له، وكلما اكتُشِفَ معنى جديد اكتُشِفت وظيفة جديدة، وهذا لا يُوقع النص في الأسى وقد الأمل في أداء وظائفه. معنى هذا أن النص في علاقته بذاته يحيا مع الصراع التأويلي، لكنه في علاقته مع جماعة تأويلية يموت إذا ما تعرض للصراع التأويلي، لأن قيمة النص ممثلة في امتلاكه معنى تفضله جماعة تأويلية معينة.

#### 5. الصراع التأويلي وأخلاق المؤولين:

<sup>1</sup> الرويلي، ميجان؛ البازعي، سعد (2007): دليل الناقد الأدبي، ط5، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص89.

<sup>2</sup> إيكو، أمبرطو: التأويل والتأويل المفرط، ترجمة: الحلواني، ناصر، مركز الإنماء الحضاري، (بدون الطبعه والتاريخ)، ص50.

قد يبدو الصراع كلمة دالة على العنف، لكن إذا تأملنا الكلمة جيدا سنجده أنه محاولة للدفاع عن الحق في التأويل وامتلاك المعنى، لكن هل يمكن أن نتصارع أخلاقيا إن صحت هذه الفكرة؟ إن أي شيء لا يكون أخلاقيا إلا إذا أعطى للأخر اعتباراته ليكون في حالة تقوم على تبادل الاحترام والاعتراف والمنافع والإيمان بأن منفعة الذات في منفعة الآخر.

إن هناك صراعا من أجل ذاته وهناك صراعا له مبرراته، هذا الأخير يدعى الصراع المنتج والمقبول، إن الأول يقوم على النفي وعلى إقصاء الآخر واعتماد نموذج تأويلي غير منفتح، والنتيجة هي امتلاك معنى يفتقد للاعتراف بالآخر ويتجاوز حقوق الآخر في بناء المعنى. أما الصراع الثاني المنتج فيدمج الآخر في بنية التفكير ويشاوره دوما، وهذا هو مذهب آرمسترونغ: "قد يتخذ الصراع غير المنتج (...) شكل اختلافات لا تنتج أي نوع من تبادل الرأي، كما يحدث عندما يفشل جانبان في اللقاء لأن كل واحد منهمما مشغول على نحو أنوي بمشاغله الخاصة وهو عاجز، أو غير راغب، أو ببساطة لا ينوي سماع آراء أخرى. إن الشرط المسبق للصراع المنتج هو اللقاء وتبادل الرأي على أساس الواضح. كما أن الاحترام المتبادل والاتفاق على عدم اللجوء إلى القوة أو التلاعب للفوز بالمزايا، هما أمران ضروريان لجعل الصراع منتجا".<sup>1</sup>

أكثر النصوص التي تقع ضحية الصراعين المنتج وغير المنتج هي تلك النصوص التي تدخل في دائرة الذاكرة والتاريخ والدين والسياسة، فلا شك أن تأويل نص ضمن تلك الدائرة يكون وراءه جلب منفعة أو درء خطر، لذلك يكون لدينا طرفان متخاصمان متشارعان في التأويل، وكل طرف يسعى لتأويل النص وامتلاك معنى يقضي بإعطاء حقوق وامتيازات لطرف ما على حساب طرف آخر، كل هذا وفقا لنموذج تأويلي إيجابي من منظور الكائن المؤول. وهذا ليس مذهب الهيرمينوطيقا فقط، بل تشتراك معها الدراسات الثقافية، فهي "تؤكد على أن كل معرفة إنسانية متوضعة اجتماعيا وسياسيا، أي مرتبطة بمصالح وقوى اجتماعية".<sup>2</sup>

ولكي نوضح مسألة الصراع الأخلاقي يمكن القول إن الأخلاق تقتضي احترام الآخر وتجنب إلحاد الأذى به، ثم التحلي بخلق الصدق بعيدا عن الكذب، لذلك فحينما يتعلق الأمر بتأويل أحداث الماضي التي تدور حول المجازر والمظالم والاعتداءات فإن الظلم إذا أراد أن يؤول الماضي المشترك مع المظلوم فعليه من منظور الصراع غير المنتج أن يؤول الأحداث ويمثلها سرديا يجعل الماضي نقيا من تلك الأخطاء والجرائم، وهنا يكون قد أقصى الآخر من النموذج

<sup>1</sup> آرمسترونغ، مرجع سابق، ص 201.

<sup>2</sup> بوعزة، محمد (2018): تأويل النص من الجماليات إلى السياسات، ضمن: في الحاجة إلى التأويل، تنسيق: عبد الرحيم جيران - محمد الحيرش، ط 1، تطوان: منشورات مختبر التأويليات والدراسات النصية واللسانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص 301.

التأويلي، أما إذا أراد أن يدخل في صراع منتج، فعليه أولاً أن يتبنى نية التصالح والاعتراف بالجرائم والاستعداد لتقديم التعويض وجبر الضرر، لأن الصراع المنتج يتيح للأخر أن يدعم تأويل أحدات الماضي، فيقول كلمته إلى جانب كلمة الخصم والشريك (الظلم) في إطار النقد المتبادل والمشتراك.

وحيثما يغيب الصراع المنتج وتتفرد الذات بالتأويل تأكيداً لمبدأ الإقصاء فإن الصراع التأويلي لا يتوقف، بل ينهض من جديد مع القوى المختلفة حتى وإن كانت من موقع الهامش والمقصى، فهذا الطرف يراهن على الصراع التأويلي فيستحضر الآخر في تأويله لموضوع التأويل المشترك، فيدفعه إلى المشاركة في التأويل بشكل افتراضي، فيغدو هذا الآخر موجهاً للتأويل لا شيء آخر، وهكذا فإن الصراعات التأويلية قوة مضادة مفيدة، بل وضرورية للوقوف بوجه الميول الاستئثارية للسلطة.<sup>1</sup> إن كل سلطة تبقى مالكة لقوتها وفعاليتها ما دامت منفردة الصوت بعيدة عن أي تهديد يتربص بها، لكن هذا قد لا يدوم، فالتأويل دائم غير منتهي، ومصادره كثيرة، فكلما شعر طرف من أطراف التأويل بالحاجة إلى منافسة التأويلات فإنه ينطلق صوب موضوع التأويل معلناً بداية جديدة للصراع، وذلك بغية تحقيق منفعته ونسف تلك السلطة التي كتب لها السواد والاستقرار. ونعيد التأكيد على قوة التأويل بإشارة لعبد الله بريمي، والتي مفادها أن بمقدور التأويل "العصف بكل السلط (اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو لغوية...) التي تبني وجودها وتستمد شرعيتها من المعاني التقريرية والأحادية".<sup>2</sup> وهذا مذهب آرمسترونغ الذي يرجع قوة التأويل وفعالياته إلى نقد النموذج التأويلي حتى يصير مؤهلاً، فقد النموذج التأويل هو نقد في الآن نفسه لكل السلطة المتحكمة في التأويل، وهو النقد الذي قد يفضي بالتأويل إلى نسفها وإبطالها، يقول آرمسترونغ: "إن المؤول وهو يُخضع نفسه لصرامة منظومة معينة وقيودها، لا يكسب ما توفره من إمكانات لفهم فحسب، لكنه يفوز بحق مساءلة النموذج الذي يعمل ضمنه نفسه ومراجعته. وإحدى علامات القوة التأويلية قدرتها على تغيير المعتقدات والتقنيات التي منحت للمرء سلطته".<sup>3</sup>

وفي الأخير نقول إن من يسعى إلى نفي ورفض التأويلات المعارضة له وإبطالها يؤكّد دون وعي أن من حق المؤول، الذي يخالفه، أن يسعى جاهداً إلى إبطال تأويل خصمه ومنافسه كذلك، كل هذا في إطار "حقوق المسؤولين" التي يدافع عنها أمبراطرو إيكو حيث يقول: "كنت أدرس الجدل

<sup>1</sup> آرمسترونغ، مرجع سابق، ص202.

<sup>2</sup> بريمي، عبد الله (2018): السيميائيات الثقافية مفاهيمها وأليات اشتغالها المدخل إلى نظرية يوري لوتمان السيميائية، ط1، الأردن، دار كنوز المعرفة، ص27.

<sup>3</sup> آرمسترونغ، مرجع سابق، ص201.

بين حقوق النصوص وحقوق مؤولיהם. ولدي الآن اعتقاد أن هناك تركيزاً في العقود الأخيرة على حقوق المؤولين وحدهم<sup>1</sup>.

وهناك قيمتان يمكن أن نضيفها إلى جانب أخلاق المؤولين، يتعلق الأمر بقيمة الحوار وقيمة الموضوعية التي تناقشها قيمة الحياد أو الذاتية، ففي تلك القيمتان الإيجابيتان ينبع عندهما الوضوح، يقول غادامير: "ليس ثمة سوى الموضوعية الناتجة عن تشكيل رأي مسبق تؤيده وتؤكده الأشياء عليه، لا ينبغي أن يتهاون المؤول على نصّه بناء على الرأي المسبق المهيأ الذي يتشكل ويحيا في ذهنه، بالعكس، عليه أن يناقش بوضوح هذا الرأي المسبق بخصوص مصاديقه وصحته، أي بشأن أصوله ومشروعيته".<sup>2</sup> إن الإيمان بتلك القيمتان يدفع المؤول إلى أن يكون على استعداد للتخلّي عن نموذجه التأويلي رغم تعلقه الشديد به الناتج عن قرته على جلب منافع معينة. ولقد تبيّن من خلال هذا المحور البحثي أن التأويل الأخلاقي مهما أفقدنا من منافع فإنه يعود بمنافع أخرى، خاصة وأنها قد تكون منافع مشتركة أو أنها فرصة لخدمة الآخر وإعطائه حقوقه وامتيازاته. فخارج التأويل الأخلاقي ليس هناك سوى "الذي يتصرف خلاف ما يقوله الآخر بالفعل فإنه عاجز عن إدماج ما سمعه وأدركه مع جوانية انتظار المعنى المتنوعة في جوهرها. فثمة إذن معيار".<sup>3</sup>

## 6. الدرجة الصفر للصراع التأويلي ومردوديتها:

إن انتهاء الصراع التأويلي بدون انتصار لطرف من أطراف التأويل وحصولهم على درجة الصفر هو مسألة غير مرغوب، وقد يجعل موضوع التأويل، باعتباره موضوعاً مشتركاً بين أطراف التأويل، مدعاه للعداوة والأمراض النفسية التي تنتجه عن حرمان المؤولين من اقتراح المعنى الذي يؤمنون بصوابه واقترابه من الحقيقة التي تبقى نسخاً مشوهه عن الأصل. لكن هناك أملاً في الدرجة الصفر للصراع التأويلي وهو أمل معقود على خلق الحوار المنتج، يقول آرمسترونغ: "إذا لم ينتصر أحد الطرفين فإن حوارهما يمكن أن يعود بالنفع عليهمما معاً بطرق شتى. تستطيع النزاعات التأويلية أن تقود إلى اكتشاف أرضية مشتركة موثوقة، أو قد تصل ذروتها باتفاق على عدم الاتفاق ينجم عنه فهم أكمل من ذي قبل لما يعنيه ذلك".<sup>4</sup>

قد لا نختلف في أن الصراع التأويل هو دفاع عما نؤمن به وإبطال لما يؤمن به الآخر، إلا أن بلوغ مرحلة الهزيمة المتبادلة قد يؤدي إلى بناء موقف تأويلي جديد يستمد معاييره وقواعد من

<sup>1</sup> إيكو، أمبراطو (2014): اعترافات روائي ناشئ، ترجمة: بنكراد، سعيد، ط1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص49.

<sup>2</sup> غادامير، جورج هانس: فلسفة التأويل - الأصول المبادئ الأهداف، مرجع مذكور، ص124.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص124.

<sup>4</sup> آرمسترونغ، مرجع سابق، ص207.

طفي الحوار، وبالتالي فمسألة انتصار طرف على آخر ستصبح هباءً منثوراً، مقابل انتصار الطرفين معاً، إلا أنه انتصار بطمع الفقد والتعميض الجزئيين لبعض المعتقدات والافتراضات التأويلية. إن الفقد والتعميض يعكس فكرة أن كل طرف من أطراف الحوار التأويلي قد قام بمراجعة نموذجه التأويلي الخاص به.

## 7. الافتراضات المسبقة: الأهمية والنشوء والتجدد:

حينما يتجه أطراف التأويل صوب موضوع التأويل فإنهم يرصدون قبل البدء إجابات عن أسئلة متوقعة ومحتملة من قبيل: ما موضوع التأويل؟ كيف نؤول؟ ماذا نريد من التأويل؟ أي ما الغاية منه؟ هل نعرف ماذا يريد الطرف المنافس لنا في التأويل؟ إن امتلاك إجابة عن هذه الأسئلة يجعل المؤول مالكا لافتراضات مسبقة والتي تتصورها بأنها سيناريوهات تأويلية، وما كان للمؤول أن يفكر فيها لو لا خوفه من أن يضيع مصالحه من التأويل.

يمكن أن نتصور الافتراضات المسبقة بأنها جملة من الأفكار التي تتكون عند الإنسان فرداً وجماعة، وهي أفكار تنشأ عن تجربة الإنسان في الحياة الاجتماعية، وتتأثر بكفاية الفرد التأويلية، فليس من سبق له تأويل نص ما كمن لم يفعل من قبل. كما أن الافتراضات المسبقة ليست خاصة بالفرد، وإنما تجمع بين الخاص والعام المشترك أو الذاتي والموضوعي.

قد يُقدّر أن يصادف المؤول نصاً جديداً، غريباً، لا عهد له به ولا بمثله من قبل، والذي نقوله هنا أن المؤول سيكون مضطراً إلى عدم إقامة التأويل، إيماناً بشرط الافتراضات المسبقة وأهميتها. لكن آرمسترونغ يتصور أن التأويل يشترط الافتراضات المسبقة، ولكن حينما لا تكون موجودة، فإنه ينبعها من جديد من خلال التعامل مع النص، ما يعني أن التأويل هو السبيل الذي يجعل تلك الافتراضات في حوزة المؤول، بل إن التأويل هو الذي يمكن الإنسان من التعرف على ثقافته وتبني معتقداتها وقوانينها. يقول آرمسترونغ: "لا وجود لتأويل دون افتراض مسبق عن كيونة العمل والعالم. فإن سعينا إلى الفهم من دون مفاهيم مسبقة فإننا لن نفلت منها، سنعيد إنتاجها في تأويلاتنا لكن دون أن ندركها بصفتها الحقيقية، أي كونها افتراضاتنا الخاصة وليس حقائق مستقلة في النص".<sup>1</sup> هكذا يظهر أن التأويل يبدأ بالتعرف على النصوص، ثم يبدأ المؤول في تبني حقائق وأفكار من النص المؤول ثم إعادة توظيفها في تأويل النص، وكأنها منتمية إلى معارف وخبرات المؤول، وهذا ما يمكن تسميته بتأويل النص بالنفسه. فالنص لا يعطي المعنى عن طريق التأويل فقط، بل يعطي كذلك طريقة تأويله.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص26.

يجب أن ننتبه إلى أن الافتراضات المسبقة لا تأتي من النص موضوع التأويل فقط، بل تأتي أيضاً من الأطراف المنافسة في التأويل، ولا يتم تبنيها إلا إذا أصبح المؤول في موقف يجبره على الاعتراف بها وتأييدها. يقول آرمسترونغ: "إن مواجهة المرء لافتراضات مسبقة تختلف عن تلك التي يحملها قد تقويه إلى مزيد من الوضوح بشأن ما يعتقد أو سبب اعتقاده به، أو أن التحدي القادم من معارضة متشددة قد يجبر المدافعين عن مدخل ما على صقل مناهجهم أو توضيح فرضياتهم على نحو أكثر تفصيلاً ودقة مما يفعلون لو لم تواجههم مقاومة".<sup>1</sup> إن تجدد الافتراضات المسبقة لا فائدة ترجى منه سوى مساعدة المؤول على تأويل النص، ثم إثراء الممارسة التأويلية ووعدها بالنجاح والفعالية إذا ما أتيحت للمؤول فرص تأويلية مستقبلية، ما يغيب إمكانية الفشل التأويلي للنصوص.

### الخاتمة:

تأسيساً على ما سبق، يمكن القول إن هذا البحث يتصل بكلمات مفتاحية مثل: السياسة والصراع، الديمقراطية، لكن توظيفهما في الحقل التأويلي له مبرراته المنطقية التي من شأنها إغناء الدرس التأويلي واستيعاب اشتغاله. إن ما يعرفه المجال السياسي الخاص بتتبير الشؤون الاجتماعية العامة هو الشيء نفسه الذي يعرفه الفعل التأويلي، فإذا كان يتم انتخاب حزب معين لإدارة الشأن الاجتماعي سياسياً فإنه كذلك يتم انتخاب نموذج تأويلي دون سواه ليتم التأويل في ضوء قواعده ومعاييره، كما أنه إذا كان ممكناً سياسياً تغيير الحزب الحاكم بأخر فإن يكون ممكناً تغيير نموذج تأويلي بأخر يكون أكثر جدوًّا وفعالية بالنسبة للذات المؤولة. وفي ظل اختبار الجدوًّا والفعالية يكون الفضاء التأويلي مطبوعاً بالصراع والمنافسة والشقاق بين التأويلات التي تعكس تعدد النماذج التأويلية، إلا أن هذا الصراع لا تكون له استمرارية لأن قيمة الديمقراطية تتدخل لفض النزاع، لكن في بعض الأحيان تضمن هذه القيمة إذا ما واجهت سلطة لا تؤمن بها.

يكشف الصراع التأويلي، بما هو المشكلة التي هي صلب التحليل في هذه الدراسة، عن أن النصوص بقدر ما تحيل على معنى معين فهي قادرة على أن تحيل على معنى آخر غير الأول، وبالتالي فكل معنى يتصل بنموذج تأويلي هو المتدخل في نشوئه وتكونه، فتغير المعنى قد يدل على تغير النموذج التأويلي، إننا أمام ما أسماه بول ريكور بالمعنى المضاعف أو المزدوج Le double sense حيث يقول: "إنني أشير هنا إلى ضرب من أثر المعنى. والذي بموجبه أن أي تعبير له أبعاد متغيرة، إذن فهو يعني شيئاً، فإنه يعني في الوقت نفسه شيئاً آخر، من غير أن يتوقف عن أن يعني الأول".<sup>2</sup> إذن فهل الصراع التأويلي يرجع إلى كون النصوص قابلة لأن تُقول

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 207.

<sup>2</sup> ريكور ، بول: صراع التأويلات دراسة هيرميونوطيقية، مرجع مذكور ، ص 99.

مرات عديدة دون توقف ألم إلى كون أنتا نفسك مختلفين عن غيرنا رغم كوننا ننتمي جمیعاً إلى الثقافة نفسها؟ كل ثقافة بالضرورة تتطلب الوحدة،<sup>1</sup> إنها تدعوا إليها، لا لجعل الناس متوحدين في تصوراتهم وطريقتهم في الفهم، بل لتخالف مع الثقافات الأخرى وتقاوم كل تنوع مضاد لتلك الثقافة، لهذا "فکل تأويل هو بالضرورة تأويل ثقافي". ولما كانت الثقافة مجالاً لصراع الخطابات والأيديولوجيات، فإن التأويلات تتورط ضمناً أو صراحة في لعبة السياسات، بما هي مجال للتفاوض حول الخيارات الرمزية والمادية".<sup>2</sup>

نستعيir من بول ريكور مصطلح الهيمنة، والتي تتوزع إلى نوعين: هيمنة اللسان على الكائن، والكائن على اللسان.<sup>3</sup> إن النص حينما يهيمن على مؤوله فهو يسعى إلى حفظ نفسه من أن يختلط مع النصوص الأخرى، أي أن له مضموناً غير مضمون النصوص الأخرى. وحينما يهيمن الكائن على النص فمعناه أن المؤول يؤمن بأن له حقاً في أن يقول النص ما يشاء. وبين هذا وذاك صراع تأويلي لا حد له. إن أقوى الصراعات التأويلية ليست تلك التي تتم بين النص والمؤول، بل تلك التي تتم بين المؤولين أنفسهم لاختلاف نماذجهم التأويلية. ويؤكد هذا بول ريكور بقوله: "إن التأويلات الأكثر تعارضاً تتجه، كل تأويل على طريقته، نحو الجذور الأنطولوجية للفهم. وإن كل تأويل ليقول أيضاً على تعلق ذاته بالوجود".<sup>4</sup> إن الحديث عن أنطولوجيا الفهم لا يعني الحديث عن نظرية تأويلية ما، بل عن الطريقة التي يتم بها استقبال النص والتفاعل معه، إذ إن المؤول يعطي المعنى الذي يريد، ويختار من الموسوعة ما يفيده في التأويل، لأنه لا تأويل بدون مصلحة ومنفعة، فكم من معنى يتم توليده فيظهر أنه ليس معنى مناسباً فلغي لمخالفته منافع الذات ومصالحها وأهواءها، ومن ثم يستبدل بمعنى آخر.

إن مجموع القضايا التي ناقشناها تقود إلى توضيح سياسات التأويل التي يمكن أن تتجي التأويل من الصراع التأويلي أو لنقل تحوله من مشروع سلبي إلى مشروع إيجابي، فسلبية التأويل تتمثل في أنه يرفض التأويلات الأخرى ولا يقبل بوجودها أو التوافق معها، إنه لا يرى سوى ذات المؤول فقط، إنه ينغلق على نفسه في نموذجه التأويلي. وهذا الوضع يؤدي به إلى الانهيار والاضمحلال حتماً. أما إيجابية التأويل فتتجلى في افتتاحه وحواريته مع النماذج الأخرى، بل وابتعاده عن كل اختلاف وحشى يرفض الآخر، إنه ينظر إلى الآخر كفرصة لبناء الذات عن

<sup>1</sup> لوتنان، يوري؛ أورينسكي، بوريس (1986): حول الآلية السيميوطيقية للثقافة، ترجمة: طليمة، عبد المنعم، ضمن: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا مقالات مترجمة ودراسات، إشراف سيف قاسم ونصر حامد أبو زيد، ط١، القاهرة: منشورات الياس العصرية، ص 311.

<sup>2</sup> بوغزة، محمد: تأويل النص من الجماليات إلى السياسات، مرجع مذكور، ص 289.

<sup>3</sup> ريكور، بول: صراع التأويلات دراسة هيرميونوطيقية. مرجع مذكور، ص 101.

<sup>4</sup> ريكور، بول: الوجود والتأويل، ترجمة: عياشي، منذر، مجلة ثقافات، عدد 206، شتاء 2002، ص 218.

طريق التعاون والانفتاح. ولعل وجود الآخر يفيد في نقد النموذج التأويلي فما لا نراه قد يراه الآخر، أو إن وجود الآخر يكشف عن تنوع في الطرق المؤدية إلى اكتشاف المعنى ودعم التأويل، والنقد دوماً مسألة اجتماعية وثقافية حيث لا يستطيع الإنسان أن يعرف الحسن والجيد إلا في وجود المجتمع الذي حدد عبر الثقافة معياريه التأويل.

إن الغنى الذي يطمح إليه نص ما ويحلم به يمكن أن يتحقق أولاً بتوسيع معنى يتصل بهوية النص لا بهوية أجنبية أو هوية عبيبة، لذلك اقترح علم الهيرمينوطيقيا ما اصطلاح عليه بالدائرة الهيرمينوطيقية حيث تشارك جميع عناصر النص في توجيهه التأويل وبناء المعنى، وكلما تم نفي عنصر ما أصبح المعنى فقيراً، بل لا يحمل هوية النص، فهوية المعنى من هوية عناصر النص. كما أن ذلك الغنى يتحقق بتعدد الدلالات، وهذا التعدد يساهم فيه الصراع التأويلي، وإذا ما قللنا الصراع التأويلي وألغيناه فالنتيجة هي جعل النص يعيش بدون تاريخ، وبقاء الإنسان مستلباً لمعنى وحيد، دون أن يولد المعنى الذي يرتبط بتاريخه لا بتاريخ غيره.

ولما كانت هناك أهمية للصراع التأويلي، فإن هناك أهمية لوجود الآخر، لذلك وجب أن نتعالى مع الآخر على نحو أخلاقي يقوم على الاعتراف والتعاون، وكلما اتسعت دائرة التفكير التأويلي في النصوص كلما اتسعت دائرة المعنى، بل وأصبح المعنى يشمل أفق النص الكبير، ووجد كل طرف مشارك في التأويل أن حقه التأويلي أصبح مضموناً رغم فقدانه لبعض المنافع الذاتية لقاء منافع مشتركة. إن الضرورة الأخلاقية تقضي الاعتراف بالآخر والاستفادة منه أو تبادل الخبرات التأوائية، لكن إذا لم تكن هناك فرصة للاعتراف والتعاون بين الأطراف فإن الصراع التأويلي قد ينتهي عند الدرجة الصفر حيث لا يوجد رابح، لذا فإن كل طرف من أطراف التأويل سيجد ذاته مضطراً للاعتراف بالآخر والتعاون معه، وهذا سيجعل التأويل فعالاً ومنتجاً، وخلال هذا الوضع يمكن لافتراضات المسابقة أن تتجدد أو تغتني إثر ما يقدمه الآخر أو ما ينتج عن الحوار المعرفي المشترك بين الذات والآخر حول موضوع التأويل.

وننبه في الأخير إلى أن التأويل ليس دائماً يتجه نحو الاعتراف بالآخر والتعاون معه، ولكن يقوم على تأويل النصوص وفق التصور الذي يجلب منافع للذات، وفي مقابل ذلك يكون التأويل مهموماً بإبطال نموذج التأويل المعتمد عند الآخر، خاصة إذا كانت أطراف التأويل تتنازع في موضوع التأويل وتختلف من التأويلات المفرطة التي تهدد وجودها. فالاعتراف بالآخر وتدبير الصراع لا يكون دوماً مطمحاً إنسانياً، ففي بعض الأحيان يجب نفي الآخر وإبطال نموذجه التأويلي، لأنه يسعى إلى الإساءة إلى الذات.

## قائمة المصادر والمراجع:

- آرمسترونغ، بول (2009): القراءات المتصارعة: التنوع والمصداقية في التأويل، ترجمة: رحيم، فلاح، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- إيزر، فولفغانغ (1998): التخييلي والخيالي من منظور الأنطروبولوجية الأدبية، ترجمة: لحميداني، حميد؛ الكدية، الجلاي، ط1، فاس، مطبعة النجاح الجديدة.
- إيكو، أمبراطو (2004): التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: بنكراد، سعيد، ط2، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- إيكو، أمبراطو (2014): اعترافات روائي ناشئ، ترجمة: بنكراد، سعيد، ط1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- إيكو، أمبراطو: التأويل والتأويل المفرط، ترجمة: الحلواني، ناصر، مركز الإنماء الحضاري، (بدون الطبعة والتاريخ).
- بريمي، عبد الله (2018): السيميائيات الثقافية مفاهيمها وأليات اشتغالها المدخل إلى نظرية يوري لوتمان السيميائية، ط1، الأردن، دار كنوز المعرفة.
- بوعزة، محمد (2018): تأويل النص من الجماليات إلى السياسات، ضمن: في الحاجة إلى التأويل، تنسيق: عبد الرحيم جيران - محمد الحيرش، ط1، تطوان، منشورات مختبر التأويليات والدراسات النصية واللسانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- الرويلي، ميجان؛ البازعي، سعد (2007): دليل الناقد الأدبي، ط5، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- ريكور، بول (2002): صراع التأويلات دراسة هيرمينوطيقية. ترجمة: عياشي؛ منذر، ط2، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- ريكور، بول: الوجود والتأويل، ترجمة: عياشي، منذر، مجلة ثقافات، عدد 206، شتاء 2002.
- غادامير، جورج هانس (2006): فلسفة التأويل - الأصول المبادئ الأهداف، ترجمة: شوقي الزين، محمد، ط2، المركز الثقافي العربي.
- لوتمان، يوري؛ أوزبنسكي، بوريس (1986): حول الآلية السيميويطيقية للثقافة، ترجمة: طليمية، عبد المنعم، ضمن: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميويطيقية مقالات مترجمة ودراسات، إشراف سيفا قاسم ونصر حامد أبو زيد، ط1، القاهرة، منشورات الياس العصرية.

اليوسفي، محمد؛ شهاب، مثنى حميد (2023): قراءة نقدية في مناهج التأويل الحداثي للقرآن الكريم. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد 3، العدد 2.